سحابة صـــــيف

للأســـتاذ ثروت أباظة

على شاطىء البحر أرسل فيه ناظري فينطلق لا يسوقه إلا الأفق البعيد — تتهادى منه إلى الشاطىء موجات كل منها تتزين للقاء هذا الشاطىء بلون يختلف عما اتخذته صاحبتها ، وإذا هي مرتمية عليه في إلحاح العاشق المشوق حاملة معها نسيماً يشتد حيناً ويلين أحياناً — يشتد فالشوق عارم ، ويلين فالشوق عنيف — والشاطىء رابض يستقبل كل ما يرد ، لا تلمح عليه من التغير غير بعض الماء يعلوه من أثر الخجل ، ثم لا تلبث الرمال الظامئة أن تبتلع هذا الماء إلى غير رجعة وفي غير اكتفاء — والناس بين ذهاب وأوبة منهم من يرمق الموجات نظره واهتمامه ، ومنهم من شغلته حوريات أخرى ، فهو غير حافل بشيء مما يدور حوله من غزل يرق ويحتدم — ومن الناس من اقتحم على الموجات غزلها فأفسد من زينتها وعاق من شوقها — قاسياً عاتياً — وهل كان الإنسان إلا كذلك — فما القى ساق صاحبي وأنا في هدأتي هذه يقطعها على قائلا في صوت أجش :

— سلام عليك !

— بسم الله الرحمن الرحيم — لا أنزل الله عليك السلام أبداً — من أين خرجت ؟

— أعوذ بالله ! أهنا لقاء ؟

— فليكن وداعاً

— خيراً ، ماذا بك ؟ ؟

— ليس بي غيرك ، فاجلس صامتاً أو انصرف مشكوراً .

— آه — آسف ، لقد قطعت عليك خيالك — آسف يا حضرة —

لا فائدة إذن ، لقد آله لقائي فأراد أن يرده سخرية ، وحسبي الله — لابد أن أنتقم السخرية بمثلها وأجعل الحديث كله مزاحاً — ليجلس — والبحر لن يغيض ، والشاطىء لن يغر ، والقصة في الناس لن تزول : —

— لا — لا تأسف فهكذا أنت والله — بل أنك عادة أكثر جموداً منك الساعة ، فما أنت ذا تحس فتأسف وما كنت في يوم ذا إحساس ، إجلس — وتكلم —

— أذنت لي — أي تنازل — كيف حالك وما حال الصيف معك ؟

— أما حالي فالله محمود على كل شيء ؛ وأما الصيف فلا أدري لماذا يمر بطيئاً ، يخيل إلي أنه لن يزول — أنا لا التذ شيئاً هنا ولا يسرني غير وحدتي ؛ وما كنت في يوم محباً للوحدة — ولكنني أجدها أقل سوءاً من غيرها .

— سحابة من ملل الصيف تزول إن شاء الله .

— وأنت — ؟

— أنا ماذا ؟

— متى تزول ؟

— أعوذ بالله ماذا جرى لك ؟ لقد أصبحت طويل اللسان إلى حد لا يطاق .

— أراك تطيقه

— فتى أراك ؟

— أمر عليك

— فأنت لا تريد أن تراني — ماذا بك — لن أنصرف أو تعترف .

— لقد أحسنت التهديد — ملكت من قوة العمل والاسترخاء ، وكسلت عن العمل في ذاته فأصبح حالي مزيجاً عجيباً من عمل أماني أكسل عنه ، وملل من هذا الكسل ، وقعود عن إزالة هذا الملل

— كنود ذلك الإنسان — لقد رأيتك والعمل يتكاثف عليك فتناشد الله العون وترجو منه أن يسوق إليك الصيف يرفع عنك عملك — وأجاب سبحانه الدعاء ، وأزال عنك كدرك وساق إليك الصيف فإذا أنت تستقبله في هذا الفتور الماثل وذلك الملل المصطنع .

— مرض —

— أنت طبيبه — إن نفسك هي أشرى أعدائك فحاربها — تضع أمامك المسالك المسدودة وهي قديرة أن تفتحها لك ، وأنت قدير — من نفسك تطلبك ، وامنعها أن تمل تمرح ، وازجرها أن تموج بك فتستغرقك الحيلة